مقدمة

ابتدأت هذه المرحلة مع مستهل الثلاثينات من القرن العشرين، وتوجهت إلى معالجة التاريخ الجزائري باعتباره وحدة من حيث المدى الزمني والحيز الجغرافي، مع التركيز على إظهار البطولات والأعمال الجليلة وحركات التحرر ضد المحتلين الأجانب المتمثلين في الرومان والوندال والبيزنطيين والإسبان والفرنسيين، ويمثل هذه المرحلة كلا من الشيخ محمد مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي.

أولا: الشيخ محمد المبارك الميلي (1896– 1945 م)

01– المولد والنشأة:

هو مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي الميلي الجزائري، وهو مؤرخ وكاتب وصحفي من رجال الإصلاح، وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أمه تركية بنت أحمد بن فرحات حمروش، توفي والده وله من العمر أربع سنوات وبعدها بقليل توفيت أمه، حفظ القرآن الكريم وختمه على يد الشيخ أحمد بن طاهر مزهود بجامع سيدي عزوز بقرية أولاد مبارك، واصل تعليمه على يد الشيخ معلم محمد بن معنصر، وفي سنة 1918 م توجه إلى قسنطينة والتحق بالجامع الأخضر ليتابع تعليمه على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم غادر باتجاه تونس لمواصلة دراسته في الزيتونة سنة 1919 م، حصل منها على شهادة التطويع سنة 1924 م.

حققت حركته الإصلاحية نجاحا كبيرا في الأغواط والتي خرج منها حوالي سنة 1933 م، ابتلي بداء عضال ومرض مزمن، وافته المنية يوم 09 فيفري 1945 م.

02– أهداف الكتابة عند الميلي:

لقد أدرك الميلي من خلال مطالعاته التاريخية أهمية التاريخ بالنسبة للشعوب، في وقت كان اهتمام جل الجزائريين به قليلا، فقد شكل إحدى حلقات الصراع الثقافي مع الاحتلال الفرنسي، فقد كانت الكتابة التاريخية في عهده باللسان العربي من التحديات الكبرى أو المستحيلة، نظرا للسياسة التعليمية الفرنسية، إذ لا توجد معاهد تاريخية ولا مدارس لتعليم الجزائريين ولا حتى مكتبات عامة يستقي منها الباحث مادته العلمية، ناهيك عن التشويه الذي ألحق بتاريخ الجزائر من جراء الممارسات الاستعمارية الرامية إلى وصل تاريخ الاحتلال الفرنسي بالوجود الروماني في المغرب العربي مباشرة، متجاهلين بذلك الفترة الاسلامية، واعتبارها فترة مظلمة في تاريخ المنطقة، ويمكن استخلاص الأهداف التالية:

- توعية الشعب الجزائري عامة والشبيبة خاصته.
- ربط ماضي الجزائر بحاضرها.
- التوعية التاريخية.
- إثبات الشرعية التاريخية للجزائر.
- شحذ الهمم الوطنية وغرس حب الوطن والوطنية في النفوس.
- التأكيد على الوجود المستمر للشخصية الجزائرية عبر العصور التاريخية.

03- مؤلفاته:

على الرغم من أن مبارك الميلي لم يترك مؤلفات كثيرة إلا أنها كانت باعث أمل في تشجيع الحركة العلمية خلال تلك الحقبة التاريخية الصعبة، نذكر منها:

أ- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: ألفه في وقت التحضيرات لاحتفالات مرور 100 سنة على احتلال الجزائر، وذلك خلال استقراره بمدينة الأغواط (1927- 1933 م)، صحح الأعلام وجمع المواد وأوضح الأغراض التاريخية وقرب الأسلوب من النهج العصري، أصدر جزئين أما الثالث فلم يرى النور وكتب منه 20 صفحة فقط.

تناول الجزء الأول تاريخ الجزائر في العصور القديمة، وكان أول إعلان له في جريدة الشهاب العدد 106 بتاريخ 21 جويلية 1927 م، أما الجزء الثاني فتناول العهد الإسلامي وطبع في ماي 1932 م، وأعلنت عنه الشهاب في جزئها السادس.

ب- رسالة الشرك ومظاهره: صدر في شكل مقالات في جريدة البصائر بنفس العنوان، وفيه اهتم بظاهرة الشرك وبواعثها المادية عند المبتدعين في العقائد والعبادات لأصول الكتاب والسنة، ثم قام بجمع تلك المقالات في شكل كتاب صدر سنة 1937 م.

04- منهجه:

- اعتمد بشكل كبير على ابن خلدون.
- يمر على بعض الأحداث الهامة دون تفصيل.
- حاول استخدام المناهج الحديثة في الكتابة التاريخية.

- استعمال المصادر العربية ونقدها.
- استعمال المصادر الأجنبية.
- اتباع قاعدة الكل فالجزء أو ما يعرف بالتاريخ العام.
- الاعتماد على الاستقراء.
- التحكم في البناء الزمني.
- الابتعاد عن الأحكام المطلقة.
- وحدة التاريخ الجزائري.
- محاربة النسيان وتجديد الذاكرة.
- إبطال أسطورة الجزائر فرنسية.

ثانيا: أحمد توفيق المدني (1898– 1983 م)

01– المولد والنشأة:

ولد في تونس العاصمة يوم 01 نوفمبر 1898 م من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس إثر إخفاق ثورة المقراني 1871 م، بن محمد بن لأحمد المدني القبي الغرناطي، ووالدته هي عائشة بنت عمر بوايراز.

التحق بالمدرسة القرآنية في سن الخامسة من عمره، كان مولعا بالقراءة الصحفية في سن التاسعة حيث كان يقرأ جل الصحف التونسية مثل المرشد، التقدم، المنير والاتحاد الاسلامي...، ولم يكد يتجاوز 15 سنة حتى أصبح مشاركا في تحرير جريدة الفاروق عام 1914 م.

دخل المدرسة الخلدونية بالزيتونة سنة 1913 م إلى عام 1915 م، عاش أحداثا عصيبة منها الانقلاب العثماني ضد السلطان عبد الحميد عام 1909 م، وأحداث الزلاج عام 1911 م، وكذا بداية الح.ع.I عام 1914 م، زج به في السجن بتاريخ 1915/02/14 م إلى غاية 1918/11/01 م تزامنا مع نهاية ح.ع.I.

بدأ في التأليف عام 1922 م من خلال أول كتاب له وهو "تقويم المنصور"، ساهم في إنشاء الرابطة العلمية سنة 1924 م، كانت له أنشطة مسرحية من خلال فرقة السعادة، قامت السلطات الفرنسية من خلال ممثلها "لوبيسيان" بتوقيع قرار النفي بتاريخ 05 جوان 1925 م إلى الجزائر، كما كان من المساهمين في تأسيس نادي الترقي 1927 م وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 م، وأصبح أمينا عاما لها سنة 1941 م، بعد

مؤتمر الصومام عين عضوا للهيئة السياسية بالخارج وممثلا لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة، كما شغل منصب وزير الثقافة بالحكومة الجزائرية المؤقتة منذ 1958 م، وفي عام 1961 م أصبح وزيرا مفوضا بالجامعة العربية، وفي 06 أوت 1962 م عين وزيرا للأوقاف.

تقلد المدني مناصب أخرى سامية بالجزائر، ففي سنة 1966 م عين سفيرا بإيران، وفي سنة 1967 م انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ما بين عامي 1967- 1970 م، وكان سفيرا بالعراق وتركيا وباكستان عام 1971 م، وافته المنية يوم الثلاثاء 18 أكتوبر 1983 م عن عمر قارب 84 سنة.

02- مؤلفاته:

عرف المؤرخ أحمد توفيق المدني بإنتاجه الغزير لذي تنوع خاصة في مجال الجهاد والنضال ضد الاستعمار الفرنسي، كانت كتاباته من الأسباب الرئيسية المؤدية لسجنه ونفيه، ومن أبرز مؤلفاته:

أ- تقويم المنصور: أصدر الجزء الأول سنة 1922 م ويقع في 320 صفحة، ويشمل أبوابا من العلوم والفنون والآداب والسياسة والتاريخ والجغرافيا، وصدر الجزء الثاني سنة 1923 م، والثالث سنة 1924 م، والرابع سنة 1945 م، والخامس سنة 1930 م، قسمه إلى 13 بابا وبه 34 صورة، ألف الأجزاء الثلاثة الأولى بتونس.

ب- كتاب الجزائر: يقع في 408 صفحة، سجل فيه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى سنة 1930 م، يقول عنه المدني نفسه: «**أنه كان فتحا مبينا نزع عن الشعب كل الشعب غشاوة الجهل المطبق**»، عرف لأول مرة بجغرافية المنطقة وتاريخها ومجتمعها، وهو تحد لفرنسا في ذاكرتها المعنوية لاحتلال الجزائر، صدر هذا الكتاب سنة 1931 م وأعيد طبعه سنة 1984 م.

ج- محمد عثمان باشا داي الجزائر: جاء ليبين أمرين أساسيين:

أولهما: بيّن فيه ما كان يقع في الجزائر في عهد هذا الداي من عمل مشرق ومشرف وبين ما يحدث في أوروبا وأمريكا من اضطرابات وفوضى.

ثانيهما: وضع المدني مقدمة مطولة فند فيها الأكاذيب الأوروبية حول دور العثمانيين في الجزائر بطريقة علمية وموثقة، صدر هذا الكتاب سنة 1937 م ويقع في 191 ص.

د- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا: يقارن فيه بين صقلية قبل الإسلام وبعده، كيف كانت مظلمة وكيف أشرقت بالعمران والتسامح، ويقع الكتاب في تسعة أقسام، خص فيه القسم الأخير بالعلوم والآداب،

وتحدث فيه عن 34 علما من أعلامها مثل: محمد بن علي المازري، وأسد بن فرات، وأبي عبد الله محمد الإدريسي الحسني الطالبي، وابن حمديس الصقلي، صدر في الجزائر عام 1946 م مكون من 280 صفحة.

هـ- جغرافية القطر الجزائري: كان ذلك سنة 1948 وهو الاول من نوعه عن جغرافية الجزائر، مزود بالصور والرسوم الجغرافية وأعطى وصفا شاملا للجزائر، ووجه إلى طلبة المدارس الحرة التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

و- هذه هي الجزائر: طبع في القاهرة سنة 1957 م، وهو تعريف بتاريخ الجزائر وثورة التحرير.

ز- حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792 م: صدر في الجزائر سنة 1968 م، مكونا من 560 صفحة، حاول فيه المدني إبراز الحملة الشرسة التي شنتها أوروبا الصليبية ضد الإسلام والمسلمين مبتدئة بالأندلس وبعد ذلك دول الشمال إفريقي، أعيد طبعه عدة مرات.

ك- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر: صدر سنة 1974 م في 196 صفحة ضمن سلسلة ذخائر المغرب العربي، يعتبر وثيقة جديدة ومصدرا صادقا في سجل التاريخ العثماني الطويل بالجزائر.

ل- حياة كفاح: هو عبارة عن مذكرات في ثلاثة أجزاء، يشمل الجزء الأول حياته في تونس منذ 1905 م إلى 1925 م وبه 351 صفحة تقريبا، والثاني يشمل حياته بوطنه الجزائر من عام 1925 م إلى 1954 م وبه 435 صفحة، والجزء الثالث "مع ركب الثورة" وبه حوالي 600 صفحة، يعتبر هذا الكتاب من أهم ما كتب من الكتابات التاريخية، رغم ما قيل عنه.

إن القائمة لا تنتهي، إذا ما عددناها تبين بحق أن الشيخ أحمد توفيق المدني أفنى حياته من أجل التأريخ لوطنه بحس وطني، كما أن كتاباته أخذت شكل المقاومة الثقافية للسياسة الاستعمارية الفرنسية عامة.

ثالثا: عبد الرحمن الجيلالي (1908- 2010 م)

01- المولد والنشأة:

ولد يوم الأحد 09 فيفري 1908 م بحي بولوغين، يعود نسبه إلى قبيلة زواوة وإلى آل الشجرة الموسوية القادرية، تنحدر أمه من عائلة إبراهيم بن جيار الذي كان إماما بالجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الـ 14 سنة من عمره على يد معلمه محمد البشير البوزيري، واصل دراسته بمساجد ومدارس مدينة الجزائر متمثلة في الجامع الكبير والجماع الجديد وجامع سيدي رمضان وجامع السفير، وفي مدرستي

الإحسان والهداية ومسجد عبد الرحمن الثعالبي، لقد تتلمذ عبد الرحمن الجيلالي على عدد من كبار العلماء الجزائريين الذين يعدون من وجوه النهضة الجزائرية في ذلك الوقت، فقد كانت مدينة الجزائر العريقة في بدايات القرن الماضي فضاءً خصبا لنشاط ثقافي وديني غني قاده أعلام من الفقهاء والأدباء والكتاب من أمثال: محمد السعيد بن زكري الزواوي، والشيخ البشير الإبراهيمي، الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ العلامة أبو القاسم الحفناوي...، واطلع الجيلالي على عدد وافر من الكتب الهامة في الدراسات الإسلامية.

بعد الاستقلال عين أستاذا باحثا بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر ابتداءً من سنة 1956 م، كما عين سنة 1970 م أستاذا للفقه المالكي بمعهد تخريج الأئمة بولاية البليدة، كما تولى تدريس مادة "مصطلح الحديث" بجامعة الجزائر المركزية سنة 1983 م، كما عين في الكثير من اللجان العلمية التاريخية والدينية، وكان عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، ومن أبرز المساهمين في لجنة الفتوى، حصل على العديد من الجوائز من ضمنها جائزة الجزائر الأدبية الكبرى سنة 1960 م، كرمه الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد سنة 1987 م ومنحه شهادة اعتراف وتقدير لجهوده العلمية الكبيرة، كرمته جامعة الجزائر ومنحته شهادة دكتوراه فخرية سنة 2003 م.

توفي الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ليلة الجمعة 06 ذي الحجة 1431 الموافق لـ 12 نوفمبر 2010 م، بمستشفى عين الطاية عن عمر ناهز القرن وعامين.

02- منهج وأهداف الكتابة التاريخية عند الشيخ عبد الرحمن الجيلالي:

لقد باشر الشيخ التعليم في المدارس الحرة والجمعيات ووجد أن تدريس مادة التاريخ ممنوع ومحرم فيها إلا ما كان يدرس خفية من طرف بعض المعلمين، كما رأى بأن هذه المادة مهملة، مما جعله يتساءل: أين كتب الجزائر؟ كيف حالها؟، وكيف حال علماء الجزائر وأعيانها ومثقفيها؟، الأمر الذي دفعه لإيجاد كتاب لتلاميذ الطور الابتدائي في جزء واحد، إلا أن مشروعه تطور بعد ذلك.

لقد أدرك الشيخ بأن تاريخ الجزائر لا يزال مجهولا، إذ أنه لم يدرس دراسة موضوعية ولا شاملة لكل العصور من طرف الميلي والمدني، لذا اتبع منهجا علميا واضحا وعرضا تاريخيا أوضح من منهج سابقيه، حاول أن يكون موضوعيا في عرض الكثير من الأحداث التاريخية، كتبه خالية من الانفعالات العاطفية، واستشهد بالنصوص الكثيرة التي تدعم بحثه، إضافة إلى التبويب المحكم وترتيب الأدوار التاريخية، واستخدام المخطوطات، وقد استخدم مصادر متنوعة ومختلفة باختلاف العصور بما فيها اللاتينية واليونانية المترجمة والفرنسية، إلا أنه لم يعنى بالخرائط

الجغرافية التي تمثل العنصر المكاني للحوادث إلا قليلا منها، كما أهمل بعض المصادر التي استقى منها معلوماته، وأخيرا اعتماده على أكثر المصادر العربية إذا ما قورنت بالمصادر الأجنبية.

ويمكن تلخيص أهداف الكتابة التاريخية عند الشيخ الجيلالي فيما يلي:

- توعية الشبيبة الجزائرية.
- التوعية التاريخية.
- ربط ماضي الجزائر بحاضرها.
- التأكيد على الوجود المستمر للشخصية الجزائرية.

تقريبا الأهداف نفسها التي نجدها عند المدني والميلي.

03- أعماله:

لقد تنوعت نشاطات وأعمال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، فقد ترك انتاجا علميا زاخرا في شتى الميادين التاريخية والأدبية والدينية والإعلامية، لقد كان شغوفا بالدراسات التاريخية الوطنية، وصاحب وعي كبير برسالة مؤرخ ساهم في تصفية تاريخ وطنه من الشوائب التي علقت به، وإبراز رموزه وبطولاته وتعريف الأمم والشعوب بالجهد الذي بذله الجزائريون القدامى في البناء الحضاري والثقافي والعلمي، وقد تجسد اهتمامه وشغفه من خلال الكثير من الكتب التي ألفها.

نذكر منها:

أ- تاريخ الجزائر العام: عبارة عن موسوعة ضخمة، تولى الشيخ توسعته وتنقيحه من طبعة إلى أخرى، وقد طبع أكثر من مرة (10مرات)، وقد صدر لأول مرة سنة 1953 م في جزء واحد، ثم صدر بعدها في جزئين، ثم في أربعة مجلدات ضخمة وصدر أخيرا في خمسة أجزاء.

يشتمل الكتاب على إيجاز واف مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع أطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية، مع تراجم لعباقرة وأرباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور إلى غاية تأليفه.

لقد ركز الجزء الأول على تعريف التاريخ وعلاقته بالقومية، وخصص جزءا ضئيلا منه لتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي، ثم توسع في التاريخ منذ الفتح.

ب- ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب: عرض فيه الجهود العلمية والخدمات الكبيرة لأبي شنب في ميدان تحقيق التراث، رحبت به مجلة الشهاب ودعت إلى اقتنائه، نشرته المطبعة العربية سنة 1933 م.

ح- تاريخ المدن الثلاث (الجزائر- المدية- مليانة): تم تأليفه بمناسبة مرور ألف سنة على تأسيسهم من قبل "بولوغين بن زيري الصنهاجي"، وقد عرض هذا الكتاب باستفاضة وتوسع لتاريخ المدن الثلاث، مركزا على التطورات والتحولات التي شهدتها منذ تأسيسها، صدر سنة 1972 م.

د- ابن خلدون في الجزائر: تحدث فيه عن العلامة ابن خلدون حينما كان مستقرا بالجزائر.

هـ- الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر: نشرته إدارة التربية الوطنية بالجزائر.

و- الثقافة والحضارة والعمران بالجزائر: سلط فيه الضوء على أهم المعالم الإسلامية والآثار الخالدة بالجزائر.

ز- المستشرقون الفرنسيون والحضارة الاسلامية: أبرز فيه رؤية عدد من المستشرقين الفرنسيين للثقافة والتراث الاسلامي، وقد اعتمد هذا الكتاب على التحليل والتعمق.

يضاف إلى ذلك بعض من مؤلفاته:

- الحج إلى بيت الله الحرام 1947 م.
- المولد والهجرة (مسرحية) 1949 م.
- فن التصوير والرسم عبر العصور الإسلامية.
- عناصر الفقه المالكي.
- فنون الطلاسم.

ومن أعماله التي لا تزال مخطوطة نذكر كتاب "الاستشراق الغربي والثقافة الاسلامية"، "تاريخ الموسيقى العربية"، "شرح على كتاب الجوهر المرتب في العمل على الربع المجيب"، يضاف إلى ذلك مجموعة من المقالات المتنوعة في عدة مجالات، كما شارك في الملتقيات المختلفة.

لقد احتل الشيخ الجيلالي مكانة علمية راقية، فالمتطلع لمسيرته يقف إجلالا واحتراما لهذه الشخصية العلمية المتميزة بأعمالها وإبداعاتها الكثيرة والمتنوعة في شتى حقول المعرفة.